التربية البيئية في الفكر والمنهج الجغرافي

إعداد الدكتور
أحمد عبدالله أحمد بابكر
أستاذ الجغرافيا المساعد / جامعة قطر

التربية البيئية في الفكر والمنهج الجغرافي

إعداد الدكتور
أحمد عبدالله أحمد بابكر
أستاذ الجغرافيا المساعد / جامعة قطر

« الملخص »

تعتبر التربية البيئية ركيزة من ركائز المناهج العلمية للفكر الجغرافي ، فالمناهج الجغرافية المعاصرة مبنية على أساس الفهم العميق للعلاقات التكاملية بين مكونات النظم الأيكلوجية . فالجغرافيا كعلم ، تبرز ما بين البيئة والإنسان من علاقات متبادلة وتحاول أن تفسر وتوضح وتحلل هذه العلاقات وتركز بوجه خاص على أثر كل منهما على الآخر فمشاكل الغذاء والتلوث واستنزاف الموارد الطبيعية والتصحر ما هي إلا اختلال في مكونات البيئة الطبيعية والبيئة البشرية مما يجعلهامن صميم الدراسة الجغرافية .

يتلخص الهدف من هذا البحث في إعطاء فكرة سريعة عن الدور الذي يلعبه المنهج الجغرافي في تربية الإنسان تربية بيئية سليمة تجعل له قدرة أكبر في المساهمة في حل المشكلات البيئية ، كما ويستعرض البحث طبيعة علم الجغرافيا التي تدعم وتؤكد ضرورة فكرة « بين التخصصية » بين العلوم المختلفة والتي تبرز الحاجة الماسة لها مع تصاعد وتعقد مشكلات البيئة .

مقدمـــة :

يعاني العالم من مشكلات البيئة ذات الطبيعة التي تتخطى فيها النظم البيئية بعضها البعض والتي تؤدي إلى تهديم البيئة واختلال توازنها وإلى الحد من قدرة الأرض على الأنتاج . فالأنفجار السكاني في العالم يعتبر من أهم عوامل تدهور البيئة بهذه السرعة المخيفة وكذلك تغلب الجوانب السلبية للثورة الصناعية والتقنية وغياب التخطيط البيئي .

وقد دفع هذا الوضع الخطير الكثير من العلماء والمهتمين بشئون البيئة والتخطيط التربوي إلى المناداة بالأهتمام بالجوانب البيئية في المناهج العلمية . وكان من نتيجة تزايد الصيحات والنداءات أن اهتمت منظمات الأمم المتحدة المتخصصة في شئون التنمية والتربية بعقد عدة ندوات ولقاءات . أول هذه اللقاءات المؤتمر الذي عقدته منظمة التنمية الأقتصادية في امستردام سنة ١٩٧٢ والذي نادى بالتربية البيئية لمواجهة اضرار التنمية . ومن نتائج ذلك المؤتمر الأيجابية ان ظهر برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) سنة ١٩٧٧ . وتوالت بعد ذلك المؤتمرات الدولية والحلقات الدراسية فكان أهمها ورشة عمل التربية البيئية في بلغراد سنة ١٩٧٥ .

أدت كل تلك المؤتمرات إلى أول مؤتمر دولي حول التربية البيئية في تيبيليس Tibilis في ولاية جورجيا في الأتحاد السوفيتي في أكتوبر ١٩٧٧ . وقد قامت بتنظيم هذا المؤتمر اليونسكو بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) . وافضى مؤتمر تيبيليس إلى إتفاق إجماعي حول الدور المهم للتربية البيئة في الحفاظ على البيئة وتحسينها . ونتجت عن المؤتمر وثيقة تشكل بنية أساسية للتربية البيئية وتوصي بانتهاج سياسات واستراتيجيات متفق عليها في جميع أنحاء العالم . وفي يناير ١٩٧٨ تم تحضير الوثيقة التي أصبحت تعرف باعلان تيبيليس وأصبحت هذه الوثيقة تستعمل كأساس لوضع وتطوير مناهج التربية البيئية . وتبين هذه الوثيقة المعايير من أجل وضع برامج التربية البيئية ، وأهداف التربية البيئية ، والتوجهات اللازمة للتربية البيئية . ويمكن تلخيص أهداف التربية البيئية كما وردت في مؤتمر تيبيليس في : أكتساب المهارات من أجل الحصول على المعرفة والقيم والمواقف اللازمة من أجل حماية البيئة وتحسينها وابتكار نماذج

جديدة لسلوك الأفراد والجماعات والمجتمعات تجاه البيئة[1] .

ونتيجة لهذا الأهتمام من منظمات وبرامج الأمم المتحدة بالتربية البيئية قام العديد من العلماء المهتمين بشئون البيئة - خصوصا في السنوات التي أعقبت مؤتمر تبيليس - بابتكار نماذج لمنهجية التربية البيئية[2] . وبما أن علم الجغرافيا كعلم التبيؤ ركيزة من ركائز التربية البيئية فإن الهدف من هذه الدراسة سيكون ابراز الدور المركزي الذي يلعبه علم الجغرافيا في التربية البيئية عن طريق ربطه للعلوم الطبيعية والإنسانية واهتمامه بدراسة المكان بما فيه من تفاعل وتكامل . هذه الدراسة ليس الغرض منها التعمق في فلسفة وتطور علم الجغرافيا أو في مفهوم التربية البيئية بقدر ما هي عرض موجز لما يمكن أن تساهم به الجغرافيا في منهج متكامل للتربية البيئية .

الجغرافيا (دراسة تفاعل البيئة والانسان في المكان)

الجغرافيا تدخل في نطاق العلوم المكانية حيث أنها تحلل العلاقات المكانية Spatial Relationships . وفي هذا المجال يدرس الجغرافي ترابط الظاهرات المختلفة وفي هذا المعنى يقول ف . لوكرمان[3] .

(دراسة المكان أو المجال كظاهرة معقدة ووحدة متداخلة حكر للجغرافيا . وليس هناك فرع من فروع المعرفة غير الجغرافيا يقوم بدراسة الحقائق المرتبطة بالمكان من وجهة النظر المكانية فقط وليس من وجهة نظر الظاهرات نفسها) .

ويؤكد هذا المفهوم ايريك براون السكرتير الفخري للجمعية الملكية الجغرافية[4] :

(إذا كان بالإمكان إختصار فحوى علم الجغرافيا في كلمة واحدة كما يفعل علماء النبات عندما يقولون علم النبات يهتم بالنباتات فإن علم الجغرافيا يهتم بالمكان . فالناس يصنعون المكان والمكان يصنع الناس) .

ودراسة المكان في الفكر الجغرافي المعاصر لم تعد دراسة ساكنة بل هي دراسات ديناميكية - دراسة المكان ذات الطبيعة المتجددة المتغيرة المتحركة . فدراسة الجغرافي للبيئة الطبيعية

والإنسان هي دراسة متلازمة مترابطة ترابطا أصوليا وموضوعيا كما أن البحث الجغرافي ينطلق من منطلق تمليه العلاقات التكاملية بين البيئة والإنسان . والتخصص الدقيق في فرع من فروع الجغرافيا الطبيعية ، أو من فروع الجغرافيا البشرية لا يعفي الجغرافي من الأحاطة الكلية بالقواعد التي تقوم عليها العلاقة التكاملية بين البيئة والناس[٥] .

الدراسة الجغرافية إذن تسهم في توسيع المفهوم التكاملي للأنظمة الأيكولوجية حيث أنها تركز على الأنشطة البشرية . بحيث يغطي هذا المفهوم النواحي الأجتماعية والأقتصادية للإنسان ، ويدرس تفاعل الإنسان مع البيئة الطبيعية واستخدامه للموارد الطبيعية والتقنيات المستعملة في هذه الموارد واستجاباته لتدهور البيئة ونقص الموارد[٦] .

أما من حيث المضمون فيهتم علم الجغرافيا بفحص وربط وتنظيم وتقنين ظاهرات الأرض فهو يدرس شكل وحجم الكرة الأرضية وتحركات السطح وتوزيع اليابس والماء والتركيب الصخري للقشرة الأرضية والعمليات التي تؤثر في أشكال سطح الأرض والأحوال الجوية وما ينتج عنها من اختلاف في أنماط المناخ . ويوجه أهتمامه كذلك لدراسة إختلاف الحياة النباتية والحيوانية وتوزيعاتها إلى جانب دراسة السلالات البشرية التي عمرت سطح الأرض وتوزيع السكان والأنشطة المختلفة لهم . ذلك بالاضافة إلى المحلات العمرانية التي يقطنها . وباختصار تنحصر الجغرافيا في دراستها في دراسة مكان وسبب كيفية الأشياء . وتنسب إلى ايزاياه بومان Isiah Bowman الجغرافي الأمريكي المشهور تلك العبارة الموجزة[٧] :

(الجغرافيا تعرفنا ماذا وأين وكيف وما شأنه)

ويختلف الباحثون في عدد الموضوعات التي تنطوي تحت الجغرافيا فقد تزيد عند البعض عن خمسة عشر موضوعا . لكن هناك أتفاق ان علم الجغرافيا ينقسم إلى قسمين رئيسيين : الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية . الجغرافيا الطبيعية تتناول دراسة سطح الأرض من حيث البنية والتركيب والمناخ والنبات والحيوان من حيث تأثيرها في الحياة الإنسانية . والجغرافية البشرية تتناول دراسة النشاط الإنساني في البيئة والتفاعلات المتبادلة بين الإنسان

والبيئة . ومن أقسام الجانب الطبيعي دراسات التضاريس ونظم التصريف النهري ، دراسة الموارد الأرضية والحياة النباتية والتربة . وينطوي تحت الجغرافيا البشرية عدة فروع مثل جغرافية السلالات البشرية وجغرافية السكان والمدن والجغرافيا الأقتصادية والسياسية . وكل نوع من أنواع الجغرافيا السابقة يتناول نشاطات الإنسان المتعددة في بيئته . فالجغرافيا الأقتصادية تتناول دراستها النشاط الأقتصادي وتأثره بظروف البيئة من ناحية وبالظروف البشرية من ناحية أخرى وتأثيره عليها .

هذه المظاهر الطبيعية والبشرية يدرسها الجغرافي دراسة أصولية واقليمية بمعنى ان الجغرافي يدرس الموضوع Topic أو الاقليم Region(يدرس العلاقات الموجودة بين الظاهـرات والتفاعل بينها داخل الأقليم الواحد) . وفي علم الجغرافيا هناك إرتباط عضوي وحيوي بين الموضوعية والأقليمية فإذا بدأ بالموضوع انتهى إلى الأقليم وإذا كانت الأقليمية هدف الدراسة فإنه لانجاح لهذا الهدف دون الاستعانة بالمنهج الموضوعي . بعبارة أخرى هناك تدرج بين الموضوعية والأقليمية بحيث يمثل كل منها إطارا مكملا للآخر[٨] .

الفكر الجغرافي والتربية البيئية :

لخصت ورشة التربية البيئية في بلغراد ١٩٧٥ ومؤتمر تبيليس بالأتحاد السوفيتي ١٩٧٧ مفهوم وأهداف التربية البيئية . وقد شارك العديد من العلماء المختصين في علوم البيئة وفي المجالات التي لها علاقة بالتربية البيئية والتخطيط التربوي في توضيح تلك الأهداف والسبل للوصول اليها وفي وضع النماذج التي تنظم وتطور مناهج التربية البيئية[٩] .

يعرف ويليام ب . ستاب ـ أستاذ التربية البيئية ورئيس برنامج التربية البيئية في كلية الموارد الطبيعية بجامعة ميشجان والمسئول السابق عن برنامج البيئة الذي تشرف عليه منظمة اليونسكو ـ يعرف التربية البيئية فيقول[١٠] .

(ان التربية البيئية هي عملية انمائية هدفها تأهيل المجموعة المتميزة بادراكها واهتمامها بالبيئة بكليتها وبالمشكلات المتعلقة بالبيئة ، أو بمعنى آخر ، تهدف التربية البيئية إلى حث

المجموعة السكانية التي تسندها الحوافز وتملك المعرفة والأدراك والمهارات الضرورية للعمل فرديا أو جماعيا من أجل إيجاد حلول للمشكلات البيئية الحالية المطروحة وللحد من حدوث مشكلات جديدة) .

ويؤكد سعيد محمد الحفار نفس المعنى فى تعريفه التربية البيئية حيث يقول[١١] .

(التربية البيئية عملية تهدف إلى توعية سكان العالم بالبيئة الكلية ، وتقوية اهتمامهم بها وبالمشكلات المتصلة بها ، وتزويدهم بالمعلومات والأتجاهات والحوافز والالتزامات والمهارات التي تؤهلهم ، فرادي وجماعات ، للعمل على حل المشكلات البيئية الحالية ، والحيلولة دون ظهور مشكلات بيئية جديدة) .

وبالنظر لهذين التعريفين نجد أن اهتمامات الفكر الجغرافي المعاصر توفى ببعض مهام التربية البيئية الأساسية من ربط وتحليل وتعليل وتقويم العلاقة بين الكائنات الحية وبيئتها على المستويين الموضوعي والأقليمي . العمل على بث الوعي البيئي لخلق الفهم الصحيح لعناصر البيئة المتداخلة . تنمية المهارات اللازمة لحل المشكلات البيئية والدعوة للعمل الجماعي الجاد لحماية البيئة وضمان استمرارها والمحافظة على التوازن بين الأعتبارات الأقتصادية والبيئية[١٢] . ويتضح التقارب بل وربما التطابق بين مفهوم التربية البيئية والمفهوم الجغرافي المعاصر لو استعرضنا مفهوم التربية البيئية الذي يلخصه لنا سعيد محمد الحفار في هذا الأيجاز البليغ[١٣] :

(مفهوم التربية البيئية مفهوم متكامل . فالبيئة يجب أن تعامل في كليتها ، أي أن تراعي مختلف مظاهرها الطبيعية ، والأنشائية ولأجتماعية والأقتصادية والثقافية ، في حين لا يجب أن تفهم فكرة الحياة في وفاق مع البيئة على أنها حفاظ جامد على الأمر الواقع ، بل على أنها عملية تطور دائم تنسجم التنمية فيها مع البيئة) .

مما تقدم عن مفهوم التربية البيئية نستطيع أن نقول أن الفكر الجغرافي أكثر قدرة من غيره على استيعاب مفهوم التربية البيئية فحيث أن علم الجغرافيا يركز على الأنشطة البشرية فإنه يوسع

المفهوم التكاملي للانظمة الأيكولوجية والأقتصادية والسياسية والأجتماعية والتكنولوجية في بوتقة واحدة أو في كل واحد متكامل .

وتهدف التربية البيئية إلى إعطاء الإنسان القدرة على فهم ما تتميز به البيئة من طبيعة ومقدره نتيجة التفاعل الدائم بين جوانبها الحياتية والفيزيائية والإجتماعية والثقافية ، وتمد الفرد بالوسائل والمفاهيم التي تعطيه القدرة على تفسير علاقة التعايش التي تربط بين هذه العناصر المختلفة في الزمان والمكان . هذه الأهداف في الواقع مطابقة تماما للأهداف التي تبلورت عبر القرون في الفكر الجغرافي . ولا أخالني أجد هنا أفضل من تلخيص كارل ساور ـ أحد رواد الفكر الجغرافي المعاصر المتميز ـ للهدف الرئيسي للدراسات الجغرافية . يقول كارل ساور بايجاز بارع(١٤) .

(الفكرة الرئيسية « للدراسة الجغرافية » هي معرفة قدرة الإنسان لتغيير بيئته الطبيعية ، الطرق التي يفعل بها ذلك وفعالية أو تأثير أفعاله) .

إضافة إلى ذلك فالفكر الجغرافي المعاصر مبني على التجربة والعمل الحقلي ويشجع الجوانب التطبيقية . فالدراسة الجغرافية الحقه اذن تؤهل المواطن على تحديد المشكلات البيئية وتجميع المعلومات وترتيبها وتحليلها وبتقديم حلول وبوضع خطة للعمل وتطبيقها كما وان الدراسة الجغرافية تتميز على رصيفاتها بالأهتمام بموضوعات البيئة على جميع المستويات العالمية والأقليمية والوطنية .

المنهج الجغرافي والتربية البيئية :

يقترح وليام ب . ستاب الأسس العامة التي ينبغي أن تبني عليها مناهج التربية البيئية في عدة نقاط أهمها : ـ

أولا : أعتبار البيئة بكليتها : أي أخذ المسائل المتعلقة بالبيئة من جوانبها الأيكولوجية والسياسية والإقتصادية والتكنولوجية والإجتماعية والتشريعية والثقافية والجمالية .

ثانيــا : تشجيع التفاعلات المتبادلة بين الكائنات والبيئة .
ثالثــا : جعل التربية مساراً متواصل الحلقات يبدأ في المرحلة التي تسبق التعليم المدرسي ويتواصل عبر المراحل المدرسية والخارجة عن الأطار المدرسي .
رابعــا : النظر في المشكلات المتعلقة بالبيئة من عدة أطر (محلية وطنية ودولية) مما يفسح المجال أمام الطلاب بأخذ لمحة عن أوضاع البيئة في مناطق جغرافية أخرى تختلف عن مناطقهم .
خامسا : تبني النهج ما بين التخصصي (Interdisciplinarity) بحيث تغدو المشكلات البيئية أبعاداً شاملة ومتوازنة .

اذا نظرنا إلى الأسس الفلسفية والمفاهيم الجغرافية منعكسة في مناهجها نجد أنها توصلنا للغاية المنشودة إلا وهي التربية البيئية المتكاملة . المناهج الجغرافية تركز على ثمانية مفاهيم أساسية : ـ

١ ـ الكرة الأرضية التي نعيش عليها وبيئاتها المختلفة .
٢ ـ الموارد الطبيعية .
٣ ـ السكان .
٤ ـ السكن بشقيه الريفي والحضري .
٥ ـ النشاطات الإقتصادية والتكنولوجيا .
٦ ـ التخطيط الريفي والحضري .
٧ ـ السياسة .
٨ ـ مستقبل الإنسان .

من خلال هذه المفاهيم الثمانية تربط المناهج الجغرافية الإنسان وبيئته الطبيعية من خلال استغلاله لها وحمايته لها وسلوكه نحوها . وتضع المناهج الجغرافية في الأعتبار تواصل حلقات تلك المفاهيم واستمراريتها في النحو التالي : ـ

أولا : في المستويات الأولى يعني المنهج بدراسة أغلفة الكرة الأرضية (جوي ،

صخري ، مائي ، حيوي) والتداخلات والتفاعلات بينها وبين بعض وبينها وبين الإنسان والدورات التي تنتج عن تلك التفاعلات (دورات الهواء ، الماء ، الغذاء ، الكربون . . الخ) .

ثانيـا : دراسة توزيع الثروات الطبيعية والإنسانية في الكرة الأرضية .

ثالثـا : دراسة العناصر والتغيرات التي تتميز بها الجماعات السكانية وربط تلك العناصر الديموغرافية بالمحتوى الجغرافي المعقد (انعكاسات المجال السكاني على البيئة والاقتصاد والاجتماع والسياسة) . إضافة إلى الأهتمام بالدراسات المستقبلية للاوضاع الديموغرافية والتي تستهدف التنظير والتخطيط لمستقبل أفضل .

رابعـا : دراسة مستوى التوسع المدني وعلاقته بالتزايد السكاني . يتعرف الطالب على المحتوى الديموغرافي للمدن والتجمعات الحضرية وتصنيف المدن والأحياء الهامشية . وكذلك دراسة التوسع الحضري وتنظيم العلاقات المتبادلة بين المدن أو التجمعات الحضرية والريف المحيط بها من حيث النشاطات الإقتصادية المتنوعة والخدمات . . الخ .

خامسا : دراسة النشاطات الإقتصادية المختلفة (رعي ، زراعة ، صناعة . . الخ) والتي بدورها تؤثر في كيفية استخدام الثروات الطبيعية . وكذلك دراسة العلاقة بين البيئة وانماط المعيشة وبين التكنولوجيا ومستويات الأنتاج وانماط العيش .

سادسا : التخطيط بشقيه الريفي والحضري وربطه بالجوانب البيئية والإقتصادية والإجتماعية والتكنولوجية .

سابعـا : توزيع الثروات والأستقرار السياسي . ربط الجغرافية الإقتصادية بسياسات الدول العظمى والتكتلات الأقليمية ودراسة الجيوبولوتيكا (الحدود السياسية وجغرافية الأستعمار . . الخ) .

ثامنـا : الآثار المترتبة على استخدام ثروات الأرض في المجتمعات الزراعية والصناعية وعلاقة ذلك بمستقبل الإنسان على سطح الأرض وحماية وترشيد استثمار الموارد

الطبيعية . . الخ .

وقد استطاعت المناهج الجغرافية في الكتلتين الغربية والشرقية وبعض دول العالم الثالث من تأهيل جغرافيين ساهموا مع غيرهم من المتخصصين في نشر الوعي البيئي . ففي دول المعسكر الغربي (أمريكا الشمالية وأوروبا) جاءت أهم مساهمات الجغرافيين في مجال التخطيط الأقليمي وحل مشكلات استخدام الأرض ، وتوزيع الصناعات ، والحركات الديموغرافية ، والتطور الحضري . أما في دول المعسكر الشرقي وخاصة بولندا والأتحاد السوفيتي فمساهمة الجغرافيين في نشر الوعي البيئي (التربية البيئية) أكثر وضوحا حيث يتخذ الجغرافيون المنهج العلمي الموجه في دراساتهم التي تهدف إلى تطبيق البحث الجغرافي على حاجات المجتمع . ونجح المنهج الجغرافي في هذه الأقطار إلى حد كبير في نشر الوعي البيئي اللازم لضمان الأستغلال الفعال لموارد الثروة الطبيعية والقومية وخلق مستويات معيشية مثلي تضمن إطار العلاقة المتبادلة مع البيئة الطبيعية والأهتمام بالمحافظة على هذه البيئة وتحسينها بشكل دائم ومستمر .

نحو منهج ذو تخصصات متكاملة (طرق ما بين التخصصية) :

في عام ١٩٧٥ أجرت اليونسكو دراسة بواسطة توزيع استمارة عنوانها تقويم مصادر التربية البيئية : حاجات الدول الأعضاء وأولوياتها . ومن هذه الأستمارة تم التوصل إلى بعض النتائج ذات الأهمية منها[١٥] :

- هناك اتجاه في برامج التربية البيئية لتقليص البيئة إلى مظاهرها البيئية فقط . ويميل هذا الاتجاه إلى منع أعتبار المنظور الإجتماعي وجعل استيعاب الظواهر المعقدة والمشكلات عملية صعبة .

- هناك نقص مزمن في الطرق ما بين التخصصية (Interdisciplinary) لبرامج التربية البيئية .

في واقع الأمر كل المؤتمرات واللقاءات والدراسات عن التربية البيئية التي تمت بعد ذلك دعت إلى أن تتبنى التربية البيئية النهج ما بين التخصصي (Interdisciplinary) نسبة إلى طبيعتها المركبة وأعتمادها على معظم الفروع الأخرى ويعبر عن ذلك سعيد محمد الحفار في كتابه الإنسان ومشكلات البيئة بأن من أبرز سمات التربية البيئية كونها تسعى نحو منهج جامع لعدة فروع علمية في تناول مشكلات البيئة يكون متجاهلا الحدود الفاصلة بين العلوم التخصصية ، ويدعو للتعاون والتآزر بين علوم متكافلة .[١٦]

هذه الدعوة هي في حقيقة الأمر محور مفاهيم الفكر الجغرافي المعاصر ، فمن مهام علم الجغرافية الأولية هي القيام بمهمة حلقة الأتصال بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية . وفي سبيل تحقيق ذلك تهدف المناهج الجغرافية إلى أن يحيط الجغرافي ويستوعب نتائج العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية في وقت واحد وتكون له القدرة على التوفيق والتنسيق بين كل النتائج المأخوذه من علوم كثيرة ويخرج بنتائج وأفكار مفيدة عن الواقع الطبيعي للأرض وعن الواقع البشري . ولا يتوقف دور المناهج الجغرافية هنا بل هي تؤهل الجغرافي إلى صياغة النتائج في صيغ جديدة ومفيدة . بمعنى آخر تعلم الجغرافي كيف يضيف بداية من حيث ينتهي غيره من الباحثين . ومن هنا تضع المناهج الجغرافية اللبنة الأولى للتربية البيئية الصحيحة فهي تجعل للطالب القدرة لتركيب وتحليل وتقويم نتائج العلوم الطبيعية والإنسانية وبذلك تقيم الجسر لكي تكون الصلة الموضوعية بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية .

ومع أننا نعتقد بأن منهج الجغرافيا يتطابق إلى حد كبير مع ما يصبو اليه دعاة التربية البيئية وما دعت اليه المؤتمرات واللقاءات المتخصصة في التخطيط التربوي ، الا أننا في نفس الوقت نتفق مع الكثيرين في أن التربية البيئية لا يجوز أن تكون حكرا على أحد ولا يمكن لأي علم من العلوم أن يقوم بالمهمة لوحدة . فمع أنه لابد للجغرافي أن يتسلح بقدر كبير من الكفاءات والتقنيات التي يتحلى بها علماء التربة والجيولوجيون والمهندسون وعلماء النبات والحيوان وعلماء الإقتصاد والإجتماع وغيرهم ، لكن للجغرافي حدوداً

لامكاناته وقدراته . لذلك نحن في هذه الدراسة نؤكد على الدعوة التي تتبنى النهج ما بين التخصصي Interdisciplinary . لكننا نعود ونقترح في نفس الوقت أن يكون المنهج الجغرافي هو المدخل لهذا النهج ذلك لأن المنهج الجغرافي السليم يؤهل الطالب بخلفية ثرية وبمقدرة عالية في التركيب والتحليل والتقويم . ويتمثل هذا الثراء في ذلك المعين الهائل النابع من احاطة عميقة بالواقع الطبيعي للأرض وبالواقع البشري للناس .

ان الرؤية السليمة والمتكاملة لابعاد المشكلات البيئية المختلفة تحتم الأخذ بمبدأ التعاون بين التخصصات المختلفة . والجغرافي بحكم تدريبه يؤمن بهذا التعاون بل ويدعو إلى تعميق مفهومه كأسلوب علمي وتطبيقي . وليس أدل على ذلك من الجسر الذي تقيمه الجغرافيا بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية . وقد حاول العالم الجغرافي المعروف « جريفث تايلور » قبل أكثر من نصف قرن من الزمان توضيح مهمة الجغرافيا كحلقة اتصال بين العلوم بواسطة رسم توضح الدائرة الكبرى فيه المجال العام للجغرافيا ويشتمل هذا المجال على ثمانية أقسام تتصل بثمانية علوم رئيسية ، وبذلك تجمع الجغرافيا بين علوم البيئة الأربعة وهي : الجيولوجيا ، والطبيعة ، والفلك ، وعلوم الحياة ، وبين العلوم الإنسانية الأربعة وهي التاريخ ، والانثربولوجيا ، والإجتماع ، والإقتصاد (انظر لوحة رقم ١) .[١٧]

يوضح لنا ريتشارد هارتشون في كتابه الشهير « طبيعة الجغرافيا » Nature OF Geography أفكار عالم الجغرافيا الألماني هتنر عن الجغرافيا كعلم تكاملي يقطع خلال العلوم المنهجية أكثر مما يعبر على حافتها (لوحة رقم ٢)[١٨] . يوضح الرسم البياني أن الجغرافيا بشقيها الأصولي والأقليمي تستمد مادتها من العلوم الأساسية الفيزيائية والحيوية والإجتماعية وتعيد صياغة تلك المادة في بوتقة واحدة .

كما قام نورمان جرافس N . Graves في كتابه « الجغرافية والتربية » بمناقشة وضع الجغرافيا بالنسبة لتقسيم هرست الثلاثي لحقول المعرفة[١٩] . وضع جرافس الجغرافيا ـ

والتي عرفها بدراسة الخصائص المجالية ـ حيث تلتقي أو بالاحرى حيث تتطابق حقول المعرفة الرئيسية الثلاثة : العلوم الإنسانية ، العلوم الطبيعية والرياضيات (انظر لوحة رقم ٣) .

وقد قمنا في هذه الدراسة بتوضيح الأنموذج الجغرافي والذي نؤكد فيه دور الجغرافيا الريادي في ممارسة النهج ما بين التخصصي . فالمنهج الجغرافي منهج جامع لعدة فروع علمية تتناول مشكلات البيئة من وجهات نظر مستقلة لكنها مترابطة ومتداخلة في نفس الوقت . فالمنهج الجغرافي بالضرورة يتجاهل الحدود الفاصلة بين العلوم التخصصية ، ويدعو للتعاون والتآزر بين علوم متكافلة (انظر لوحة رقم ٤) .

يوضح الأنموذج المقدم هنا (لوحة رقم ٤) ان التربية البيئية تتوسط الحلقة المركزية التي تضم أقسام الجغرافيا الرئيسية . هذا الموقع المركزي للتربية البيئية يؤكد المفهوم الرئيسي للدراسة الجغرافية الذي يدور حول معرفة قدرة الإنسان لتغيير بيئته الطبيعية ، إمكاناته المتاحة للتغيير ، طرق أفعاله ، تأثير تلك الأفعال في حل المشكلات البيئية المعاصرة والأستعداد لمجابتهتها في المستقبل .

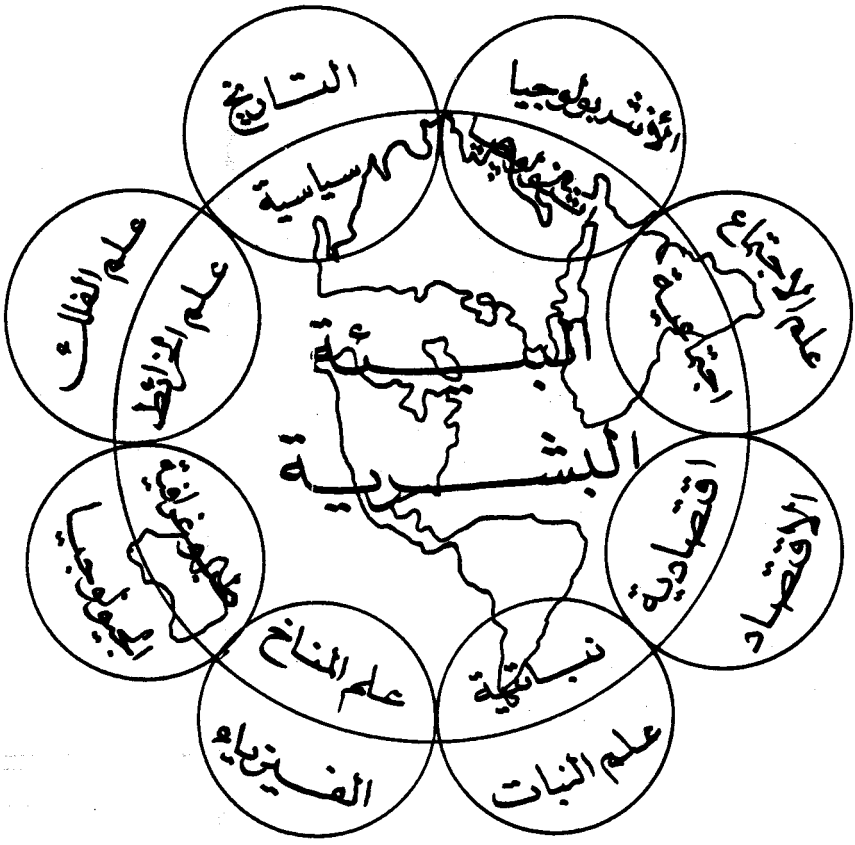

لوحة رقم (١) تربط الجغرافيا العلوم «البيئية» الأربعة بالعلوم الإنسانية الأربعة

« عن جريفث تايلور ، الجغرافيا في القرن العشرين
ترجمة . د . محمد السيد غلاب ، محمد رمزي أبو العيون ، ١٩٧٤ ص ٣٠ »

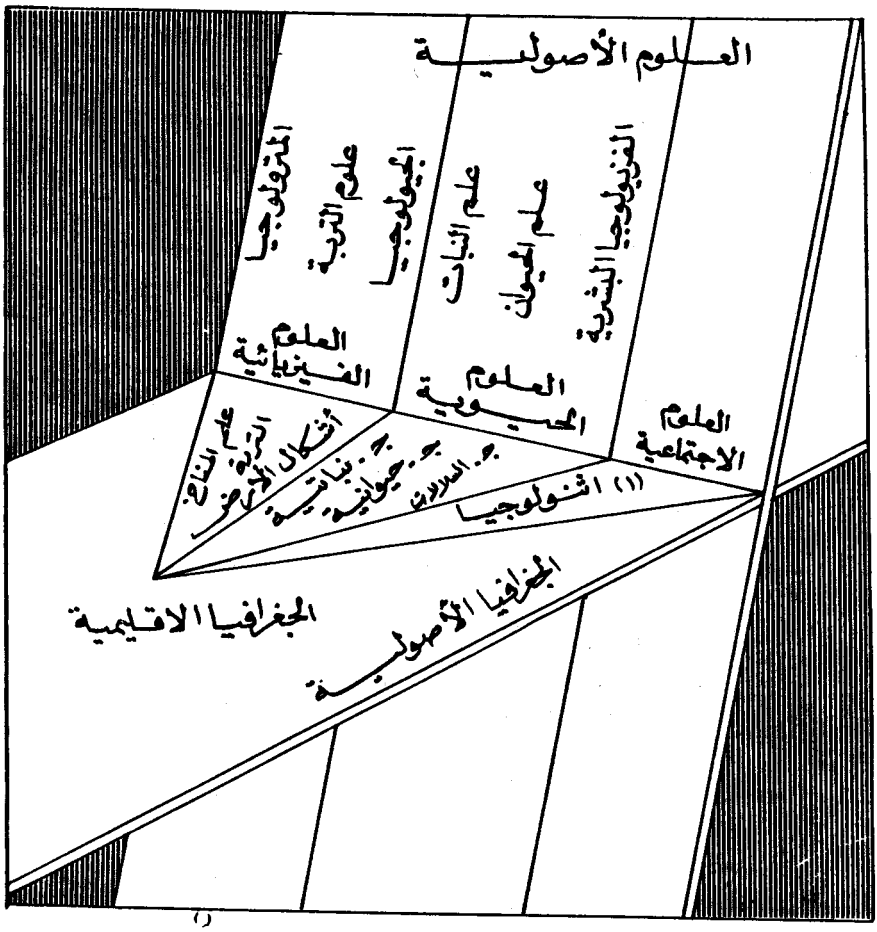

لوحه رقم (٢) رسم بياني يوضح خاصية علم الجغرافية بوصفة علما تكامليا يقطع خلال العلوم المنهجية اكثر مما يعبر على حافتها. (عن التشروسه ص ٢٢٣ من كتاب طبيعة الجغرافية لها تشوك)

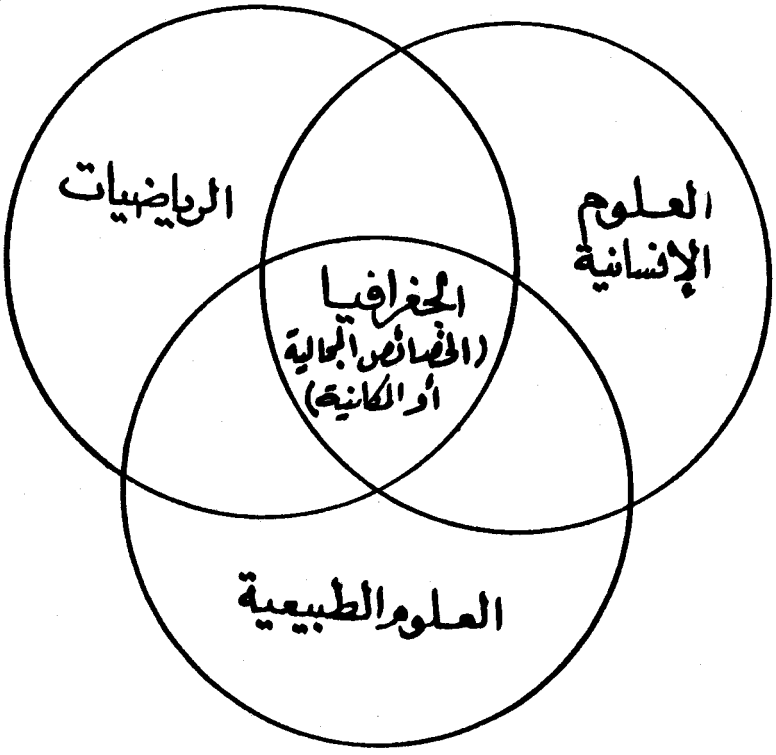

لوحة رقم «٣» وضع الجغرافيا حسب تقسيم هرست لمجالات المعرفة

« عن نورمان ج. هرافس ، الجغرافيا والتربية ١٩٨٠ ص ٧٨ »

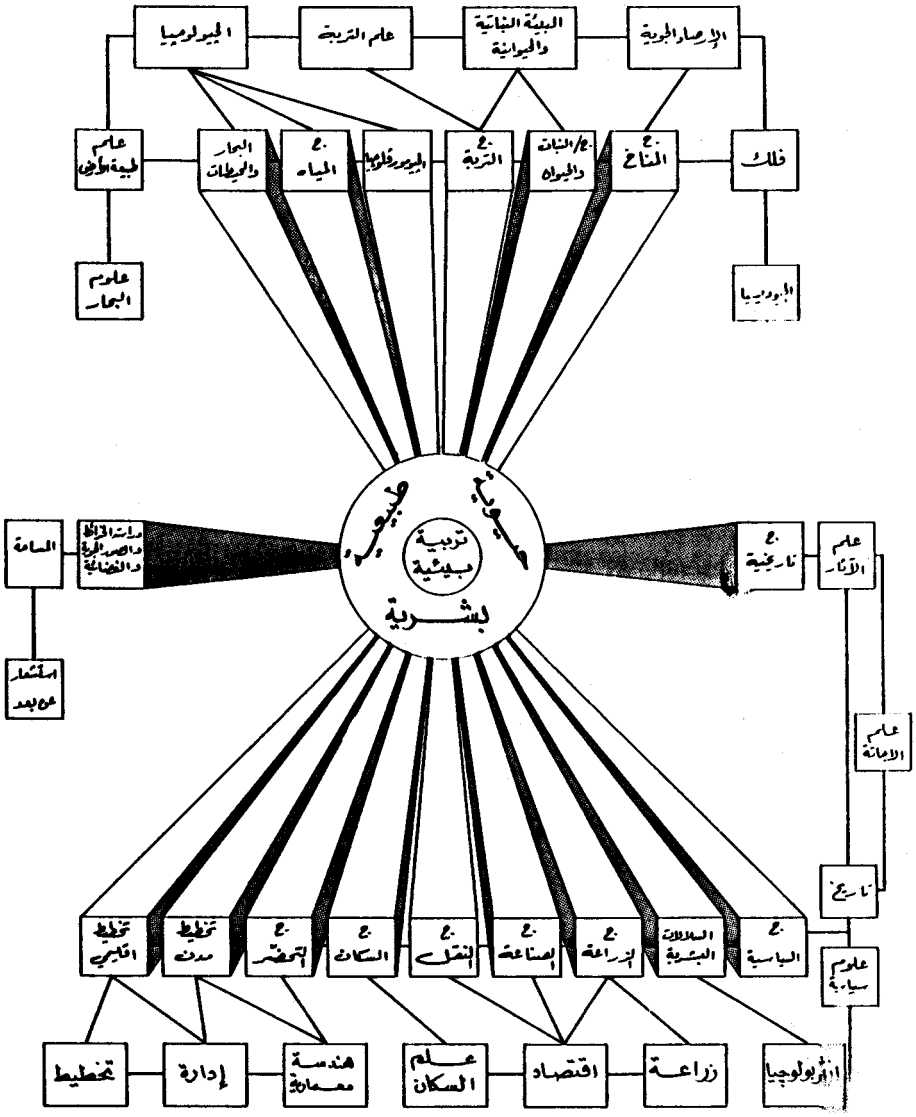

لوحة رقم ٤٠ ، الأنموذج الجغرافي لمنهج ذو تخصصات متداخلة

خاتمـــة :

الجغرافيا تهتم بدراسة الظاهرات المكانية أو المجالية واختلافاتها وبالأخص الأختلافات التي تتعلق بالعلاقة الحميمة بين العناصر العضوية وغير العضوية لسطح الأرض والعلاقة المتبادلة بين الإنسان وبيئته الطبيعية . هذا المفهوم يجعل من بين المهام الأساسية للجغرافيا تأمين حلقة الأتصال بين بقية فروع المعرفة العلمية . ومن هنا نبعث دعوتنا في هذه الدراسة وهي اتخاذ المنهج الجغرافي أحد المداخل الرئيسية لمنهج متكامل للتربية البيئية . ولا تأتي هذه الدعوة من فراغ حيث أن المنهج الجغرافي يجعل للطالب القدرة على الأستطلاع والتقصي العام Perception والنظرة الشمولية للمكان . وللجغرافي الدور الريادي في استخدام الوسائل الجغرافية مثل الخرائط والصور الجوية وذلك بهدف إعداد خرائط للوحدات البيئية ولايضاح العلاقات بين هذه الوحدات وبين خصائصها البيئية والبشرية الأخرى .

ونقول في النهاية أنه مادام هناك قواعد مشتركة للعلوم التي تدرس البيئة ومادامت وسيلة البحث والمعالجة واحدة أو متقاربة في معظم هذه العلوم فالوصول إلى منهج للتربية البيئية ذو تخصصات متداخلة يمثل المنهج الجغرافي محوره الأساسي أمر يتماشى مع المنطق العام للأشياء ، وتحقيقه في غاية السهولة شريطة أن تكون العلاقات بين الناس أنفسهم مشبعة بروح الأنسجام والوئام .

وأختتم هذه الدراسة القصيرة باستعارة مقولة اللورد صمويل ـ أحد الناشرين البريطانيين المرموقين ـ والتي أوردها لنا جريفث تايلور في مقاله الأفتتاحي للكتاب الذي قام بتحريره « الجغرافيا في القرن العشرين »[٢٠] ـ يقول اللورد صمويل : ـ

(نستطيع في الأزمنة الحديثة الأعتماد على العلم في رعاية شئوننا المادية ، أما الفلسفة فلا تزال تحت الأختبار ، وحيث يلتقي العلم مع الفلسفة ، وحيث تؤخذ نتائج أحدهما لتكون أساسا للآخر تقع الحدود التي يجب أن تعتبر مراكز حيوية في مجال الفكر الواسع . ولا شك أن الجغرافيا تشغل هذا المركز ، مركز الأتصال بين العلوم) .

الهوامش

(١) انظر ويليام ب . ستاب ، نمط نموذجي لمنهجية التربية البيئية ، رسالة الخليج العربي ، العدد الخامس عشر ، السنة الخامسة ، ١٩٨٥ ـ ص ١٨١ .

(٢) هناك العديد من الدراسات التي ناقشت مفاهيم التربية البيئية واقترحت نماذج لمناهج التربية البيئية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : ـ

ـ طلال يونس ، التربية البيئية في المنطقة العربية ـ دراسة تمهيدية لاحتياجاتها وأولوياتها ، مجلة التربية الجديدة ، العدد ١٦ ـ ديسمبر ١٩٧٨ .

ـ عبد الغني عبد الفتاح محمد النوري ، استراتيجية تطوير التربية البيئية والرؤية المستقبلية للتنمية ، أعمال ندوة الرؤية المستقبلية للتنمية وحماية البيئة ، جامعة قطر ـ ١٩٨٠ ـ ص ١٩٩ ـ ٢١١ .

ـ سعيد محمد الحفار ، الإنسان ومشكلات البيئة ، منشورات جامعة قطر ، الدوحة ، قطر ، ١٩٨١ .

ـ ليوبولد شبابو ، العالم الثالث والتربية البيئية ، رسالة الخليج العربي ، العدد الخامس عشر ، السنة الخامسة ـ ١٩٨٥ ـ ص ١٦٩ ـ ١٧٩ .

ـ ويليام ب . ستاب ، مرجع سبقت الاشارة اليه .

(٣) انظر Luckerman , F . (1964) Gepgraphy Among The Sciences , PP . 2

(٤) انظر Brown , E . H . (ed.) (1980) Gepgraphy Yesterday and Tomorrow . Oxford University Press , PP.VII

(٥) انظر صلاح الدين الشامي ، الجغرافية دعامة التخطيط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٦ ، ص ٣٢ .

(٦) للوقوف على تفصيلات وافية عن العلاقة بين المفهوم الجغرافي والمفهوم التكاملي للأنظمة الأيكولوجية انظر زين الدين عبد المقصود ، النظام الأيكولوجي ـ وجهة نظر

جغرافية ، النشرة العربية لقسم الجغرافيا بجامعة الكـويت والجمعية الجغـرافية الكويتية ـ العدد ٤٢ ـ ١٩٨٢ .

(٧) انظر Bowman, 1 .Geography In Relation To The Social Science PP . 164

(٨) انظر يسري الجوهـري ، الجغرافيـا منهج وتـطبيق ، دار الجامعـات المصرية ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ٤ .

(٩) راجع المراجع التي سبق ذكرها في (٢) .

(١٠) ويليام ب . ستاب ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

(١١) انظر سعيد محمد الحفار ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .

(١٢) للوقوف على تفصيلات دقيقة راجع يعقوب عبد الله محمد ، الأعتبارات البيئية للتنمية الريفية ، المؤتمر الإقتصـادي القومي الثـاني ، وزارة الماليـة والتخطيط الإقتصادي ، جمهورية السودان الديموقراطية ، ١٩٨٤ .

وكذلك انظر أحمد أمين مختار ، التخطيط والتنمية ـ من ثمار الفكر ـ الموسم الثقافي ـ جامعة قطر ـ الدوحة ـ ١٩٨٠ ، ص ٢٣٩ ـ ٢٦٦ .

(١٣) انظر سعيد محمد الحفار ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

(١٤) انظر Sauer , C . O . (1956) The agency of man on the earth . In Thomas , W . L . Jr . (ed.), Man ,s role In changing the face of the earth, University of Chicago, U . S . A., PP. 50.

(١٥) نشرت هذه النتائج في أبحاث عدة منها : Childress, R . B . and Wert, J . (1976) Challenges for environmental education Planners. The Journal Of Environmental Education, Vol. 7, NO. 4, 2 - 5

(١٦) راجع سعيد محمد الحفار ، مرجع سبقت الاشارة اليه ، ص ٨١ .

(١٧) انظر جريفث تايلور ، الجغرافية في القرن العشرين ، ترجمة محمد السيد غلاب

ومحمد مرسي ابو الليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ٣٠ .

(١٨) انظر Hartshorne , R . (1939) Nature of geography Association Of American Geographers , Chicago , PP.323

(١٩) انظر Graves, N.J . (1980) (2nd . Geography in education Richard Clay Ltd., Bungay, PP. 78.

(٢٠) انظر جريفث تايلور ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

المراجـع

المراجع العربية :

(١) أحمد أمين مختار ، التخطيط والتنمية ، من ثمار الفكر ، الموسم الثقافي السادس ، جامعة قطر ، الدوحة ، قطر ، ١٩٨٠ ، ص ٢٣٩ ـ ٢٦٦ .

(٢) جريفث تايلور (محرر) الجغرافية في القرن العشرين ، ترجمة محمد السيد غلاب ومحمد مرسي ابو الليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .

(٣) زين الدين عبد المقصود ، النظام الايكولوجي ـ وجهة نظر جغرافية ـ النشرة الدورية لقسم الجغرافية بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية ، العدد ٤٢ ، الخالدية ، الكويت ، ١٩٨٢ .

(٤) سعيد محمد الحفار ، الإنسان ومشكلات البيئة ، منشورات جامعة قطر الدوحة ، قطر ، ١٩٨١ .

(٥) صلاح الدين الشامي ، الجغرافية دعامة التخطيط ، منشأة المعارف الإسكندرية ، ١٩٧٦ .

(٦) طلال يونس ، التربية البيئية في المنطقة العربية ـ دراسة تمهيدية لاحتياجاتها وأولوياتها ، مجلة التربية الجديدة ، العدد ١٦ ، ديسمبر ١٩٧٨ .

(٧) عبد الغني عبد الفتاح النوري ، استراتيجية تطوير التربية البيئية والرؤية المستقبلية للتنمية ، أعمال ندوة الرؤية المستقبلية للتنمية وحماية البيئة ، جامعة قطر ، ١٩٨٠ ، ص ١٩٩ ـ ٢١١ .

(٨) ليوبولد شبابو ، العالم الثالث والتربية البيئية ، رسالة الخليج العربي ، العدد ١٥ ، السنة الخامسة ، ١٩٨٥ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٩ .

(٩) محمد اسماعيل الشيخ ، الاتجاه التطبيقي في المدرسة الجغرافية الفرنسية المعاصرة ،

المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد ١٦ ، المجلد الرابع ، ١٩٨٤ ، ص ١٤٢ ـ ١٦٧ .

(١٠) ويليام ب . ستاب ، نمط نموذجي لمنهجية التربية البيئية ، رسالة الخليج العربي ، العدد ١٥ ، السنة الخامسة ، ١٩٨٥ ، ص ١٨٠ ـ ٢٣٣ .

(١١) يسري الجوهري ، الجغرافيا منهج وتطبيق ، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ .

(١٢) يعقوب عبد الله محمد ، الاعتبارات البيئية للتنمية الريفية ، المؤتمر الاقتصادي القومي الثانى ، وزارة المالية والتخطيط الاقتصادي ، جمهورية السودان الديمقراطية ، ١٩٨٤ .

المراجع الأجنبية :

1 . Brown, E . H . (1980) Geography yesterday and tomorrow , Oxford University Press . N . Y .

2 . Childress, R . B . and Wert, J . (1976) Challenges for environmental education Planners . The Journal Of Environmental Education .

(U S A) Vol . 7, No .4 . : 2 - 5

3 . Graves, N. J . (1980) (2nd . ed .) Gepgraphy in education, Richard Clay Ltd ., Bungay .

4 . Heggett, P . (1979) Geography ; a modern synthesis, Harper and Row .

5 . Hartshorne R . (1939) The nature of geography . Association og American Geographers , Chicago .

6 . Hartshorne, R . (1948) (2nd . ed .) The nature of geography, Association of American Geographers, Chicago .

7 . Harshorne, R. (1959) Prespective on the nature of gepgraphy, Association of American Gepgraphers and John Murray .

8 . Luckerman, F . (1964) Gepgraphy among the sciences .

9 . Sauer, C . O . (1956) The agency of man on the earth in Thames, W . L . Jr. (ed.), Man, s role in changing the face of the earth, University of Chicago Press, Chicago, U S A